مقدمة

لفت نظرى وأنا أقرأ شعر الشعراء من مخضرمى الدولتين الاختلاف الكبير بين صورة الوليد بن يزيد فى الروايات التاريخية ، وصورته فى شعر الشعراء الإسلاميين والمخضرمين الذين أدركوا الدولتين الأموية والعباسية ، فشخصيته فى الروايات التاريخية مُنْحَلَّةٌ مُنْحَرِفَةٌ ، وشخصيته فى القصائد الأموية مُعْتدلة مُسْتَقِيمة ! فعزمت على أن أدرس سيرته درساً وافياً .

وقبل أن أشرع فى جمع أخباره وأشعاره من كتب التاريخ والأدب عرضت الموضوع على صديق وأستاذى الدكتور عبد العزيز الدورى ، حتى أتيقَّنَ من أن سيرة الوليد لم تُبْحث بحثاً علمياً كافياً ، فإن أكثر ماعثرت به مما كتب عنه مقالات أو فصول أشهرها فصلان فى كتاب : « تاريخ الدولة العربية » . عقدهما المستشرق فلهاوزن ليزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ، وهما أضعف أجزاء كتابه ، لأنه اقتصر فيهما على أخبار يزيد بن عبد الملك ، وأخبار ابنه الوليد التى وجدها فى تاريخ الطبرى ، والتنبيه والإشراف والأغانى ، وسَلَّمَ بها ، وأَسَّسَ عليها رأيه فى شخصية كل منهما وخلافته وسياسته ، ولم يَتَنَبَّه إلى مايشيع فيها من عبث ووَضْعٍ .

وكتب المستشرق لامانى كتيباً عن الوليد بن يزيد ، كما كتب إبراهيم الإبيارى كتيباً آخر عنه . وأهم مايؤخذ على الكتابين أن مُؤَلِّفَيهما لم يَسْتَوْفيا أخبار الوليد بن يزيد ولم يتتبَّعاها فى مصادرها المطبوعة والمخطوطة ، ولم يقارنا بين رواياتها المختلفة ، ولم يَنْقُداها ، ولم يَسْتَقصيَا جوانب سيرة الوليد استقصاءً شاملاً .

فشجَّعنى الدكتور عبد العزيز الدورى على البدء فى البحث ، لماله من أهمية بالغةٍ ، ولقلة ماكتب عن الوليد ، وكثرة ماأصاب أخباره وأشعاره من تحريف وتزييف ودسٍّ ، وحاجتها إلى الدرس والتمحيص .

فمضيت أجمع أخبار الوليد وأشعاره فى كتب التاريخ والأدب المطبوعة والمخطوطة المتاحة ، حتى إذا أَحْسَسْتُ أن مادة البحث اسْتَتَمَّتْ أوكادت ، أخذت أتأملها وأستوعبها وأفحصها ، فهالنى مارأيت من تناقض بين رواياتها المتعددة ، ووضح لى مافيها من تلفيق واختلاق ، فأخضعتها للنقد الداخلى لأهتدى إلى أصولها ونصوصها الأولى ، فتعقبتها فى المصادر تعقباً تاريخياً دقيقاً ، وعرضتها على الوقائع والأحداث والحقائق الثابتة ، وأخضعتها للنقد الخارجى ، لأعرف شخصيات رواتها

وميولهم ، وآراء القدماء فيهم ، ومقدار الثقة بهم ، فتتبّعتُ أخبارهم فى كتب التراجم والطبقات ، لأميز بين الصحيح والمنحول من أخبار الوليد وأشعاره ، وأكشف عما داخلها من افتعال وتهويل ، وأَجْلُو أسبابَهُ ودَوافعهُ . فَرجَّح نَقْدُها الداخلى والخارجى أن ما اعتراها من فساد مصدَرُه أهواء الرواة الحزبية ، ونزعاتهم الزُّبَيْرِيَّةُ ، واليمنِيَّةُ ، والشيعِيَّةُ والعباسية المناهضة لبنى أمية .

وساهم بعض الفقهاء المُتَزَمِّتِينَ المُتعسِّفين فى مسخ سيرة الوليد ، فقد صَنَّفَ القاضى المعافا بن زكريا الجريرى المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة كتاباً عن الوليد حشد فيه كل ماوَقَعَ عليه ، وماصُنِعَ له من أخبار وأشعار سقيمةٍ خبيثةٍ ، تُجَرِّحُ الوليد ، وتَقْدَحُ فى خُلُقِه ودينه ، لأنه كان يعتقد أنَّ مُحاربةَ الوليد نُصْرَةٌ للإسلام ! وفى منهجه الذى التزم به فى تأليف كتابه وغايته منه يقول : أخبار الوليد بن يزيد كثيرة . وقد ذكرها الإخباريون مَجْمُوعةً ومُفَرَّقةً . ومعظمها يأتى مُتَفَرِّقاً فى مجالس كتابنا هذا . فكنت قد جمعت شيئاً منها فيه من سيره وأثارِهِ ومن شعره الذى ضَمَّنَهُ مافَجَرَ به من خُرْقِه وسَفَاهَتِهِ وحُمْقِهِ وخَسَارَتِه وهَزْلِهِ ومُجُونه ورَكَاكتِهِ وسَخَافَةِ دِينهِ ، وماصَرَّحَ به من الإلحاد فى القرآن ، والكفر بمن أَنْزَلَهُ وأُنْزِلَ عليه ، عارَضْتُ شعره السَّخِيفَ بشعر حَصِيف ، وباطلَهُ بِحَقٍّ بَيِّنٍ شريفٍ ، وأتيتُ فى هذا بما تَوَخَّيْتُ به رضا الله عَزَّ وجَلَّ ، واسْتِيجابَ مَغْفِرَتِه[1] » . فتحامل على الوليد ، وشَوَّهَ سِيَرتَهُ تَشْوِيهاً شديداً وكان صداه فيمن جاءوا بعده من المؤرخين عظيماً ، وعلى تَفَاوُتِ تأثرهم به ، فإنهم قَبِلُوا الأخبار والأشعار المُفْتَعَلةَ التى أَلْصَقَها بالوليد ، وأخذوا بآرائه الْمُتَهوِّرة ، العَقِيمةِ ، وبَنَوْا تَصَوُّرهم لشخصية الوليد عليها . واشْتَقُّوا أحكامَهم منها .

وكان هشام بن عبد الملك وبعض أبنائه ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وطائفة من إخوانه ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن عبد العزيز ينافسون الوليد ويحقدون عليه ، فبادروا إلى الطعن فيه ، والتشهير به ، مُبْتَغِين تحطيمه ، وتَسْوِيغَ منازعتهم له ، وثورتهم عليه ، وتَعَلَّق الرواة والإخباريون بافتراءاتهم وأباطيلهم ، ومَدُّوا فيها ، وأضافوا إليها ، ولم يزالوا بها يُوَسِّعُونها ، ويُفْحِمُون فيها مايُوَلِّدُونَ ويَخْتَرِعُون حتى غدا الوليد عندهم شخصية أسطورية خرافيةً لامثيل لها فى مجانتها وإباحتها وكفرها وزندقتها !

والبحث مقسومٌ بين ستة فصول ، أفردت أولها لمولد الوليد وأسرته ، وثانيها لتعليمه وثقافته ، وثالثها لِتَرَفِهِ وملاهيه ، ورابعها لعلاقته بهشام بن عبد الملك ، وخامسها لخلافته وسياسته ، وسادسها لِقَتْلِه ونتائجه . واتَّبَعْتُ المنهج التاريخى فى عرض الموضوعات التى عالجتها فى فصول البحث ، لأنه

---

(١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظـ ، وانظر تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

يؤدى إلى رسم سيرة الوليد رَسْماً مُحْكماً ، ويُعينُ على إنزاله فى منزله الصحيح من سياق الحياة الاجتماعية والحضارية والسياسية فى العصر الأموى .

وقد رجعت فى البحث إلى كثير من المصادر المطبوعة منها كتب التاريخ والأنساب والأدب والتراجم والطبقات والبلدان ، وانتفعت ببعض المصادر التاريخية المخطوطة مثل أنساب الأشراف للبلاذرى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى ، وعُدْتُ إلى المراجع التاريخية والأدبية الحديثة .

وأنساب الأشراف هو أهم المصادر التى أفَدْتُ منها ، لنزاهة البلاذرى ، وحياده ، وتَجرُّده ، ولاشتمال كتابه على أخبار الوليد وأشعاره المتداولة بروياتها المَدَنِيَّة والعِرَاقِيَّة ، دون اختيارٍ أوحَذْفٍ أودَسٍّ ، ولاحْتِوائِهِ على أخبار وأشعار جديدة لم تَرِدْ فى غيره من المصادر ، لها قيمتها ، لأنه تُوَضِّحُ جَوانِبَ مُبْهمةً من سيرة الوليد .

أما صديقى وأستاذى الكريم الدكتور عبد العزيز الدورى فله منى أصدق الشكر وأجزله ، لما أولانى من عناية ورعاية ، فقد زَوَّدنى ببعض المصادر والمراجع ، وقرأ البحث وعَلَّق عليه تعليقات سديدة استَرْشَدْتُ بها فى تَصْوِيب بعض الاجتهادات ، وتَدْقيقها ، واستكمال بعض الفصول وتَعْمِيقها .

وأما أخى الأستاذ أحمد راتب النفاخ فمهما شكرتُه واعترفتُ بِفَضلِه ، وأَثْنَيْتُ عليه ، فإنى عاجز عن أن أوَفِّيه حَقَّهُ من الشكر والتقدير ، فإنه بذل لى من نفسه وعَوْنه الصادق شيئاً كثيراً ، وأمدَّنى بترجمة يزيد بن عبد الملك ، وترجمة الوليد بن يزيد فى تاريخ دمشق ، وسير أعلام النبلاء ، وعيون التواريخ ، وَدَفَع إلى بعض المصادر التى لم تَتَيسَّرْ لى مثل « الحور العين » لنشوان بن سعيد الحميرى ، و « تاريخ الإسلام » للذهبى .

ولصديق الدكتور محمود أبوطالب أحسن الشكر وأخلصه لقاء ماأنفق من وقت فى قراءة مقالة المستشرق « فان إس » ؛ « القدرية فى بلاد الشام فى العصر الأموى » ونَقْلها إلى العربية .

ولتلْمِيذَىَّ العزيزين تامر الفايز، وخلف الخريشة أجمل الشكر وأصفى المودة ،لما تَكَبَّدا معى من عناء ، وما قَدَّما لى من مساعدة مكتنى من زيارة قصور الوليد بن يزيد فى البادية الأردنية .

وقد اجتهدت ما استطعت أن أعْرِضَ سيرة الوليد بن يزيد كاملةً محققةً ، دون تَحَيُّزٍ له أو تَحَزُّبٍ عليه . وأرجو أن يكون فيما قدمت بعض المنفعة .

حسين عطوان